

عصمة الأنبياء في القرآن الكريم

(129) كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْتَئْذُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِيقُونَ * فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ * ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِيقُونَ * قَالَ أَلَمْ تَعْبُدُونِ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أَفَلَا تَعْبُدُونَ مَنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (1) فزعت المخطئة أن قوله (بل فعله كبيرهم) كذب لا شك فيه، لأنّه هو الذي كسر الأصنام وجعلها جذاذاً إلا كبيرها، فكيف نسب التكسير إلى كبيرها؟ ولا يخفى أن الشبهة واهية جداً، مثل الشبهة السابقة، لأنّ الكذب في الكلام إنّما يتحقق إذا لم يكن هناك قرينة على أنّه لم يرد ما ذكره، بالارادة الجدية، وإنّما ذكره لغاية أخرى، ومع تلك القرينة لا يُعد الكلام كذباً، والقرينة في الكلام أمران: الأول: قوله (عليه السلام) عند مغادرة قومه البلد ومخاطبتهم بقوله: (وَتَاللَّهِ لَا أَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بِعَدَدِ أَنْ تَوَلَّيْتُمْ مُدَّ بَرِينِ) (2)، ولا يصح حمل ذلك على أنّه قاله في قلبه وفكرته، لا بصورة المشافهة والمصارحة، وذلك لأنّ إبراهيم كان مشهوراً بعدائه وكرهه للأصنام، حتى أنّهم بعد ما رجعوا إلى بلدهم ووجدوا الأصنام جذاذاً، أساءوا الظن به، واتهموه بالعدوان على أصنامهم وتخريبها و (قالوا سمعنا فتدّى يذّكرهمهم يُقال له إبراهيم) (3) الثاني: أنّ من المسلّم بين إبراهيم وعبد الأصنام أنّ آلهتهم صغیرها _____ 1 . الأنبياء: 51 - 67. 2 . الأنبياء: 57. 3 . الأنبياء: 60.